دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، ربيع ۱۳۹۲، العدد السابع عشر، صص۴۵- ۶۳

رواية "أصابعنا التى تحترق" فى ضوء نظرية يوتوبيا لولز

حامد صدقى*

عبداله حسينى**

انصار سليمى‌نژاد***

الملخص

إن دراسة المدينةكدراسة نقدية حظيت بإهتمام كثير منذ نهاية القرن الثامن عشر، والمدينة باعتبارها إما واقعية وإما خيالية؛ مثل المدينة الفاضلة أو أرض الأحلام تعدّ من أهم البنيات داخل التقنيات السردية فى رواية القرن العشرين. أما فى الفن الروائى فلعل المدينة تعدّ من أهم البنيات داخل التقنيات السردية الحديثة، باعتبار أن وعى البطل يتشكل ويتطور داخلها متفاعلا معها ومتأثرا بها وكاشفا لها فى كثير من الأحيان. تهدف هذه المقالة إلى تقديم معايير نظرية *جورج ولز* الإنجليزى فى اليوتوبيا، و تطبيقها على رواية «أصابعنا التى تحترق»، فـ*سهيل إدريس* سعى أن يخلق صورة مدينة فاضلة وفق وجهة النظر الإشتراكية، مثل المعايير الولزية؛ لذلك يرى أن الحب، والأمن، والقانون، واستخدام المال فى الطريق الصحيح، وتكريم المرأة يجب أن تسود البلاد العربية لكى تقترب من المدينة الفاضلة المنشودة.

الكلمات الدليلية: المدينة، أصابعنا التى تحترق، اليوتوبيا، جورج ولز.

---

* عضو هيئة التدريس فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمى(أستاذ)

** عضو هيئة التدريس فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمى(أستاذ مساعد) dr.abd.hoseini@gmail.com

*** ماجستير فى اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمى.

الكاتب المسؤول: عبداله حسينى

تاريخ الوصول: ۹۱/۲/۱۰ تاريخ القبول: ۹۱/۷/۱۸

المقدمة

إن المدينة قد حظيت بكثير من الدراسات، وعرف التاريخ أشكالا من المدن، فهناک المدينة الخطيئةكسدوم، والمدينة الخراب كالعلياء والسند، والمدينة الغائبةكإرم، والمدينة التقاليدكلندن، والمدينة الثقافيةكباريس. لا يوجد فی القرآن الكريم شیء اسمه "المدينة الفاضلة ولم يَشر فی القرآن الكريم إلی مدينة أحلام لا تتحقق علی أرض الواقع. فالمدينة الفاضلة توجد فی عقول الفلاسفة، والأدباء، والمثقفين.

كان «*أفلاطون* قد أرسی معالم هذه المدينة فی جمهوريته» ويقال إنه شيّد اليونان عادةً مدينتهم الإلهية علی غرار مدينتهم الإجتماعية الأرضية. فالمدينة الإلهية عندهم، سواء مدينة الأساطير الشعبية أو مدينة الفلاسفة هی النسخة الراقية الكاملة "المثالية لمدينتهم" الفاضلة فی الأرض. أما *الفارابی*(محمد بن محمد ۲۶۰-۳۳۹هـ = ۸۷۴-۹۵۰م) فقد فعل العكس و شيّد فی كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة» مدينته الفاضلة علی غرار مدينته الإلهية أی مدينة الكون. بل إن المدينة الفاضلة عنده إنّما تكون فاضلة، فقط عندما تكون علی مثال نظام الكون وترتيبه»(الجابری: ۳۵۷).

يبدأ البحث بتعريف مفهوم اليوتوبيا أولاً، ثم دراسة ميزاتها فی رواية *سهيل إدريس* «أصابعنا التی تحترق أنموذجا»، ويرجع سبب اختيارنا لعنوان المدينة فی هذه الدراسة إلی أن الأمكنة هی الأبطال الحقيقية فی الروايات حيث المكان يشكلها، والمكان فی الواقع يصنع أفكار مؤلف الرواية، وخواطره ويصنع ذوقه، وفی ظل مفهوم المدينة يصنع الأديب فی أدبه صورة اليوتوبيا الفرضية والإنسانية التی يحلم أن تحقق وتشكل فی مجتمعه. فأثارت هذه الظاهرة فينا سؤالين هامين حاولنا الإجابة عليهما فی دراستنا: ما هی نظرية *جورج ولز* فی رسم معايير المدينة الفاضلة أو اليوتوبيا؟ وكيف تظهر ميزات المدينة الفاضلة الولزية فی رواية «أصابعنا التی تحترق»؟

وبما أن ميزات المدينة الفاضلة فی رواية «أصابعنا التی تحترق» *لسهيل إدريس* تشبه ميزات اليوتوبيا لإشتراكی الإنكليزی المعتدل *جورج ولز* فلذلک اخترنا هذه الرواية، وأجرينا أهم معايير نظرية اليوتوبيا الولزية عليها وها هی: الشمول العالمی، الحب والتسامح، الحرية، العمل، المال، تكريم المرأة، تحذير من الإسراف، تخلص من الفاسدين والسكاری و المجرمين.

قد آثرنا *سهيل إدريس* للدراسة لأسباب عدة منها أنه من أبرز الأعلام اللبنانيين فى كتابة الراوية الحديثة ومن ثم كان تأثيره فى مجال الفكر والثقافة من جهة، وفى رسم المدينة الفاضلة الراقية من جهة أخرى بارزا جدا حيث يعدّ *سهيل إدريس* من الأدباء اللبنانيين الإشتراكيين الذين رسموا صورة مدينتهم الفاضلة فى أعمالهم بصورة بارزة جدا. وهنا يجدر أن نقول أننا لانذكر- فى حدود ما قرأنا وبحثنا عنه - دراسة أخلصت نفسها لهذا الجانب المجهول من النقد فى ضوء نظرية إشتراكية إلا ما نتف مبثوثة هنا وهناك، منها *يوسف الشارونى* الذى يتناول فى مقالة «يوتوبيا الخيال العلمى فى الرواية العربية المعاصرة» تطور مفهوم اليوتوبيا فى التاريخ و فى الرواية العربية المعاصرة، و*احمد عزيز الحسين* الذى يتناول فى كتابه «صورة المدينة وانعكاسها على بنية الشكل الروائى فى الرواية العربية السورية» وستعالج المقالة المسائل التالية:

۱- تجديد العيّنة التى أجرى عليها البحث
۲- عرض الإطار لنظرية *جورج ولز* الاشتراكية
۳- ملخص رواية أصابعنا التى تحترق
۴- تطبيق النظرية الولزية على الرواية

المدينة الفاضلة(اليوتوبيا)

إن المدينة باعتبارها إمّا واقعية وإمّا خيالية تعدّ من أهم البنيات داخل التقنيات السردية فى روايات القرن العشرين. وهناک علاقة وثيقة ممتدة بين المدينة والرواية، و الريف والرواية؛ بعبارة أخرى من الممكن أن نقول أننا لا نستطيع أن نكتب عن المدينة فى الرواية ونقدها و لا نكتب عن الريف فى الرواية، و يقول الروائى المصرى الكبير *بهاء طاهر* والحائز على جائزة البوكر العربية للرواية فى سنة ۲۰۰۸ عن هذا الموضوع: «عندما أكتب، أكتب عن المدينة، أكتب عن القرية، علاقة المكان بالموضوع لا تتحدد إنّا بعد الكتابة بالفعل. نحن لا نستطيع أن نكتب عن المدينة ولا القرية. لكنى فكرت فى الموضوع فقلت رأيى شيء غريب جدّا: أن معظم الكتاب كمحفوظ هم من أصول ريفية نزحوا إلى القاهرة وكتبوا عنها أدباء من أمثال *طه حسين*، *محمد حسين هيكل*، و*عبدالرحمن*

الشرقاوی،کل هولاء من أصول ریفیة، من خلفیة ریفیة، ثم نزحوا إلی المدینة ثم کتبوا عن القریة والمدینة معاً».

و یبدو قضیة المدینة عندکاتب کبیر مثل *نجیب محفوظ* المصری حیث یحبّ جداً مدینته: «إن الجانب الإیجابی هو الجانب الحلم، أن یتمکن «أولاد حارتنا» أن یصلحوا الأمور أو أن یتمکن «الحرافیش» من أن یعیدوا ذلک العالم الطوباوی الذی یحلمون به، ولکن الصورة الروائیة للمدینة صورة سلبیة منتقدة وغیر منطویة علی ذلک الجانب الإیجابی الذی یراه فیها الکاتب من ذوی الأصول الریفیة مثل *الشرقاوی* و *طه حسین*، کما یطلق علیها *زکی نجیب محمود* مصطلح "أرض الأحلام"»(محمود:۲۶-۳۱).

منّی الإنسان النفس منذ القدم بمدینة فاضلة استقرت فی فضائلها، تُنهی التاریخ وتتوج نهایته بانتصار عادل. ومن حلم الإنسان بعالم عادل نهائی جاءت فکرة الیوتوبیا القدیمة المتجددة التی تجعل من العالم المرغوب نقیضا کلیاً لعوالم الإنسان. أما ارتباط حلم *أفلاطون* فی «الجمهوریة» فی القرن الرابع قبل المیلاد بمدینة مثالیة یقودها الفلاسفة، وکتاب *توماس مور*» أفضل الجمهوریات عام ۱۵۱۶م تسخر الیوتوبیا، وهی کلمة اخترعها *توماس مور Thomos More* من ذاته، فهی تعنی لغة "لا مکان"، یُشفع علیها مباشرة "لا زمان"کی تظل معلقة فی أثیر الذاکرة، لاتنقشع ولا تمطر»(دراج:۲۲).

فتخیّل *توماس مور* فی کتاباته أن الجزیرة الیوتوبیة لیس لها وجود علی أرض الواقع کما عنونها *زکی نجیب محمود* "بأرض الأحلام" و«یتمثل فیها البشریة، حیث تتحقق السعادة وتمحی الشرور. وقام بتحلیل نظامها السیاسی، وانتقاد الأوضاع القائمة فی دولته عن طریق تخیّله للأوضاع فی الجزیرة علی نقیض ما هو موجود فی المجتمع». أما بالنسبة لصیاغةکلمة الیوتوبیا ودلالتها،کان توماس مور، هو أوّل من صاغ کلمة "یوتوبیا" أو "أوتوبیا" فی نطقها الیونانی. وقد اشتقها من الکلمتین الیونانیتین "ou" بمعنی "لا" و "Topos" بمعنی "مکان"، وتعنی الکلمة فی مجموعها "لیس فی مکان"، ولکنّه أسقط حرف "o" وکتب الکلمة باللاتینیة لتصبح"utopia"، و وضعها عنواناً لکتاب له هو أشهر یوتوبیا فی العصر الحدیث»(برنیری:۷) أو تعنی هذه الکلمة بمعنی آخر هو «ذلک الشیء غیر الموجود فی الواقع» کما یذهب إلیه *الدکتور مراد وهبة*.

واستخدام اللفظ منذ ذلک الحين فى كل اللغات الأوروبية، وفى ترجمته العربية أيضا، ليعنى «نموذجا لمجتمع خيالى مثالى يتحقق فيه الكمال أو يقترب منه ويتحرّر من الشرور التى تعانى منها البشرية، ولايوجد مجتمع كهذا فى بقعة محدّدة من بقاع الأرض، بل فى أماكن وجزر متخيلة، وفى ذهن الكاتب نفسه، وخياله كل شىء». وصارت للكلمة فيما بعد معان مختلفة، فأصبحت بمعنى كل إصلاح اجتماعى أو سياسى أو تصورات مستقبلية خيالية، أو احتمالات علمية فنية.

تدل عبارة الأوتوبيا فى الوقت نفسه على «نوع أدبى وعلى نوع من السياسة الخيالية؛ وكذلک على تحقق شكل من التنظيم الاجتماعى غالباً ما يكون إكراهياً وأحياناً فظّاً، يفترض أن يتجسّد فيه مثال يشتهر بأنه جيد بصورة عامّة»(بورون:۷۸)، ويواجه الفكر الطوباوى بسلسلة من الاختيارات التى تكون على شكل بدائل: إمّا تغير العالم، وإمّا تحقيق نظام اجتماعى مطابق للمثال الأخلاقى إمّا بواسطة الفعالية وإمّا بواسطة المثالية. وكل واحدة من هذه العبارات هى نفسها غامضة. ولكن يستخدم الأديب فى أدبه الفكر الطوباوى لكى يتحقق النظام الإجتماعى مطابقا لرؤيته السياسية، والأخلاقية، والاجتماعية، والثقافية.

يرتبط تاريخ اليوتوبيات فى القرن التاسع عشر بميلاد الحركة الاشتراكية، وفقدت الكلمة نفسها معناها الأصلى وأصبحت تعنى التفكير المضاد للتفكير العلمى، وقد عرّف *فردريک إنجلز* فى كتابه «الاشتراكية اليوتوبية والعلمية» كلمة يوتوبيا، ولقى هذا التعريف قبولاً واسعاً»(برنيرى:۲۵۹).

إن الاشتراكيةكما نعرفها اليوم، أقرب إلى تصورات الاشتراكيين اليوتوبيين منها إلى تصورات *كارل ماركس* مؤسس الاشتراكية العلمية. وهى «لم تعد تعترف بحتمية الصراع الطبقى، وإنّما تهدف إلى تحقيق إصلاحات اجتماعية تدريجية يمكن أن تزيل الفروق الاقتصادية بين الرأسماليين والعمال»(نفس المصدر: ۲۶۱).

أما فكرة العالم المثالى أو الفردوس الأرضى أو اليوتوبيا كما تسمى منذ صاغ *توماس مور* هذه الكلمة، ففكرة راودت خيال الإنسان منذ قديم الزمان، وتناولها الفلاسفة والمفكرون من أمثال *أفلاطون* فى كتابه «الجمهورية»، و*أرسطو* فى كتابه «السياسة»، و *فارابى* فى كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة»، وكلهم كانوا يحاكون مدينة فاضلة من

«جمهورية» *أفلاطون*. أمّا «ما يميّز يوتوبيا عن تلك الأعمال السابقة لها، فهو الشكل الروائى الذى قدم به *توماس مور*، عالمه المثالى من ناحية، وارتباطها بعالم الواقع ومشاكله ارتباطاً وثيقاً من ناحية أخرى»(مور:١٣).

ثم نرى أنه جاء فى القرن التاسع عشر، *هربرت جورج ولز* وهو يدين بمذهب الاشتراكية وقد حدّثنا عن مدينة فاضلة حديثة واختار معايير هربرت جورج ولز لأنَّ المدينة الفاضلة فى رواية «أصابعنا التى تحترق» *لسهيل إدريس* تشبه صورة المدينة فى رؤية يوتوبيا *جورج ولز* بما أن كليهما من الاشتراكيين المعتدليين الإصلاحيين. أما *جورج ولز* فقد حدّثنا عن ميزات وخصوصيات المدينة الفاضلة الحديثةكالنحو التالى:

١.شمول عالمى: لايقتصر نطاقها الجغرافى على بقعة أو دولة بعينها فحسب، ولكنّها تمتدّ لتشمل كوكب الأرض كلّه.

٢.الحب والتسامح: هى مدينة تتحدث لغة واحدة، ويسودها الحب والتسامح.

٣.الأمن والقانون فى المدينة: وينتشر فى ربوعها الأمن، والقانون. فى هذه المدينة يوائم بين رغبات الأشخاص، بينما جامعاتها مراكز نشيطة بالتجارب العلمية.

٤.المال: هو صنو الحياة متى ما استخدم استخداماً صحيحاً فى هذه المدينة.

٥.التخلّص من الفاسدين، والسكارى، واللصوص، والمجرمين الظالمين، والمستعمرين: «إن على المجتمع الطوباوى أن يتخلّص من البلهاء والمجانين، ومن الأشخاص الفاسدين، والعاجزين، والسكارى، ومدمنى المخدرات، والمصابين بأمراض معدية، واللصوص، والمحتالين، والمجرمين والظالمين والمستعمرين»(برنيرى:٣٦٦).

٦.الحرية: «هدف اليوتوبيا الحديثة هو أن تؤمّن لكل مواطن الحرية التى تهبها له أملاكه المشروعة، أى جميع القيم التى كانت ثمرة كدحه أو براعته أو بعد نظره أو شجاعته.

٧.العمل: إنّ العمل ضرورة حتميّة فى اليوتوبيا الحديثة، ولكن فئة قليلة مميزة،كما فى المجتمع الحاضر، هى التى يمكنها أن تعيش دون أن تضطر للعمل إذا أرادت ذلك. وفى المدينة المثالية ليس لأحد حق الحياة بلاعمل.

٨.تكريم المرأة وتعليم الأطفال: على الدولة القيام بتحمّل مسؤولية فى تعلـيم الأطفـال وتوفير أسباب السعادة لهم،كما عليها أيضا أن تكرم المرأة اجتماعياً، وأن تـدفع لهـا أجـراً على رسالتها كأم.

٩.التحذير من الإسراف: تحذر المدينة المثالية من الإسراف فى كل ما هـو ملبـوس أو مأكول أو مشروب.

ملخّص «أصابعنا التى تحترق»

تبدأ الرواية و*سامى* بطل الرواية، جلس فى مكتبه وهـو أديـب وصـاحب مجلـة أدبيـة تُدْعى «الفكر الحرّ» وقف حياته على أدبه، وعلى مجلّته. و*سامى* فى هـذه المرحلـة يُظهـر «صورة للإنسان العربىّ الذى بلغ درجة من المعرفة جعلته ينظر إلى مجتمعه وإلى العـالم كلّه بمنظارٍ واعٍ شامل وناقد، إنَّه يلبس جبّة المثقَّف الملتزم الذى يريـد أن يحـافظ علـى كينونته داخل خضمّ من المشاكل والقضايا.

حياة البطل فى هذه الفترة تزخر بحضور المـرأة، فقـدكانت لـه صـلات عديـدة بنسـاء عديدات، خاض مع بعضهنّ تجارب مختلفة إنتهت إحداها [وهى الصلة مع إلهام] بالزواج.

تبدأ الرواية ثمّ تنتهى بالثنائى *سامى*(مسؤول مجلة الفكـر الحـر) و*إلهـام راضـى* وهـى الآنسة التى لاتزال شابّة فى التاسعة عشرة وتريد الاشتراك فـى المجلـة: «عفـواً... إسـمى *إلهام راضى*. وكتب الإسم والعنوان على قسيمة الاشتراك، ثم رآها تتناول نسخة من العدد الأخير من المجلةكانت على مكتبه، فتقلّب صفحاته فى صمت، وما تلبـث أن تنظـر إليـه: أننى أتابع المجلة منذ صدورها»(ادريس: ١٠)، فاستقبلها رئيس التحرير *سامى*.

أما كان تجربة *سامى* طوال صفحات الرواية أول تجربته مع *رفيقة شـاكر*، فتـاة سـورية جميلة، تعمل مدرّسة فى مدرسة صغيرة فى شمال سوريا. إنها من المعجبات بإنتاج *سامى* ومن المبهورات بروايته «على ضفاف السين». أما هى فترغب أن تعيش مع البطل تجربـة على منوال تجاربه مع فتيات باريس من أمثـال *ليليـان*، و*مارغريـت*، و*سـوزان* فـى روايـة «الحى اللاتينى»، فعلاقته معها تنتهى بسرعة لأنها تجربة الحبّ الفانية الباردة الضائعة. ثـمّ يجرّب *سامى* فى الرواية، تجربة حبّ كانت مع *سميحة صادق*، أديبة مصرية هى صـديقته وصديقة مجلة «الفكر الحر» عبر الرسائل: «ثلاثة رسائل من *سـميحة صـادق*... فرأيـت أن

سميحة صادق هی خير من يتحدّث فی فن القصة.. فكان لابدّ من أن أشرف على إقامتها وتوفير أسباب الراحة لها كضيفة [فی لبنان]، وصديقة للفكر الحر»(ادريس:۹۴). إنّها لم تفلح أيضاً فی امتلاک كيان البطل لأنّها مثقفة رومانسية، عاجزة عن مجابهة الواقع، *والهام راضی* هی المرأة الأخيرة التی تجمع بين محافظة الشرق(خجلها، وجمالها، وعائلتها المحافظة المقيدة بالتقاليد، وامتناعها عن العلاقة والاقتراب من البطل، وذوقها الأدبی وحضورها الفكری مع البطل ومشاركتها البطل فی أعماله الأدبية داخل مكتبه). لذلک امتلكت كيان البطل واختارها *سامی* من بين نساء عديدات مثقفات: «إنّنی منذ زمن طويل أنتظرک يا *إلهام*»(نفسه: ۱۰۰).

وبين البداية وخاتمة الرواية يخوض الزوجان معركة استمرار مجلة «الفكر الحر»، وسط عجز مالی تفرضه تناقضات محلية وعربية، فالعراق من أهم أسواق التوزيع، ولكن الحكومة الرجعية آنذاک، عام ۱۹۵۳،كثيرا ما كانت تمنع إدخال المجلة إلى بغداد وأخواتها، فيلجأ *سامی* مضطرا إلى تخصيص نسخ معينة للعراق تكون خالية من المواد التی تثير حفيظة الحكام هناک. «قال سمير [شريكه فی المجلة]: يبدو أن هناک سياسة متعمّدة فی العراق لمنع أعداد مجلتنا على التوالی: مرّة بسبب المقال الافتتاحی، ومرّة بسبب قصيدة ثورية، وتارة بسبب مقال عن المشكلات الاجتماعية... إنّهم يريدوننا ألّا ننشر أی مقالٍ يثيرُ إحدى قضايانا الهامة فی أی ميدان من الميادين...»(نفسه: نفس الصفحة). ثمّ يَقترح *سامی* حلًّا لمشكلة منع نشر المجلة فی العراق وإلهام تؤيّده: «من أجل هذا ترانی أقرّ اقتراحک فی أن تزيد صفحات المجلة بضع صفحات إضافية تحشد فيها المادة المتفجّرة الثائرة، على أن توزّع فی سائر الأقطار، أما العراق، فلا تُثبت فی نسخة هذه الصفحات الإضافية، ريثما يقوم فی ذلک القطر حكم متحرر صالح»(نفسه:۱۸۷).

وبما أنّ هذا لا يكفی لحلّ المعضلة المالية فسوف يعمل *سامی* فی التدريس الخاص، حيث يعطی دروسا فی اللغة العربية للفرنسيين المتدربين فی السلک الدبلوماسی، وهو كمثقّف حساس لايمكن إلا أن يكون ملتزما بالقضايا القومية، فيجره التعرف على شاب جزائری يُدعى *عبدالقادر رحمانی*، الذی هو عامل فی الجيش الفرنسی، إلى التعاون مع هذا الشاب الذی يبحث عن وسيلة ليلتحق بشعبه الجزائری المقاوم بدلا من الانخراط فی جيش محتلّيه الفرنسيين.. وتعاون سامی مع هذا الشاب يتضمّن مغامرة وتضحية بوظيفة.

فاستقال *سامى* من معهد تعليم اللغة العربية للجنود الفرنسيين لأنهم يرتكبون جرائم ضد الشعب الجزائرى: «*وسامى* أذكرُ، وأنا أغادر المعهد، صديقنا *عبدالقادر رحمانى*، فأحسّ بعض العزاء، إذ أدرک أن بوسعى، أنا أيضا، أن أكون جنديا صغيراً فى جيش التحرير العربى»(ادريس:۲۶۵).

وأثناء انطلاقة مجلة «الفكر الحرّ» وانتشارها يفتح *سامى* أبوابه، ومعه *إلهام راضى* بطبيعة الحال، لمثقفين بارزين من مشارب مختلفة. تبدأ علاقته مع المثقفين من وحيد الملتزم بحزب الهلال واضعاً ثروته التى خبأها فى المهجر تحت تصرف حزبه حتى مات مفلساً، «فاستطرد يقول *وحيد*: وقد تُعجب يا *سامى* إذا أخبرتک أننى أنفقتُ مالى من أجل الحزب»(نفسه:۲۱۹). و*كريم* الذى كان فى حزب الأرجوانيين لكنّه ضاق ذرعاً بوفائهم المبالغ للاتحاد السوفيتى. «وبعد أن انفضّ الاجتماع، استبقى *سامى* صديقه *كريم* ليسأله سرّ تطوّر موقفه من الأرجوانيين، وقال له: إننى قد أفهم اقتراحک فى الإشادة بموقف الإتحاد السوفياتى.. أما هؤلاء "المرشحون دائماً للخيانة" على حدّ تعبيرک»(نفسه:۲۷۱)؛ و*هانى المهووس* بلبنان حتى التفكير فى لبننة العالم؛ إلى *عصام الحلوانى* الشاعر المستغرق فى حب النساء وكتابة أجمل القصائد فى الحب والجمال.

وينشئ *سامى* علاقة عابرة مع الأديبة الشابة *رفيقة شاكر* التى سرعان ما تنتقل إلى ذراعى عصام، وتزوغ عينا عصام على إلهام التى ترتبک أمام وسامة الشاعر إلّا أن حبها لزوجها (*سامى*) مدعومة بتقاليدها المحافظة يعصمها من التمادى. ولكن هذا لا ينفى أن تتألّم مما تعتبره ماضى زوجها سامى، «قالت فى نفسها *إلهام*: لابدّ أنّک (*سامى*)كنت ترمى، إذ رويت لى علاقتک السابقة بمؤلفة رواية "المغامرة"، *رفيقة شاكر*، إلى أن تلحقها بذلک الماضى... أيكون لديک بعدُ ما تخفيه عنّى يا *سامى*؟ إنّنى أقدر لک تلک الأمانة وذلک الإخلاص. «ولكنّى أريدک أن تدفن حقاً هذا الماضى وتلک الذكريات»(نفسه:۲۱۵).

وقد سجّل جانباً من هذا الماضى فى روايته على ضفاف السين، إلّا أن معاناتها الحقيقيةكانت مع الكاتبة *سميحة صادق* التى تلاحقه بقصة حب وهميّة طالبة منه أن ينفصل سامى عن إلهام ليكون معها. «أمّا أنا (*سميحة صادق*)، فلا أفهم معنى وجود *إلهام* معک مهما حاولت أن أفهم، وأنا بصراحة أرى هذا الزواج سخفاً لا معنى له، أشبه برقعة على سطح حياتک، يُنتظر أن تُنزَع، ويُرْمى بها...».

وهو ما يرفضه سامى بحزم، نافيا أن يكون بينهما أكثر من صداقة أدبية أصبح فى غنى عنها، فيكتب: «حضرة الآنسة سميحة صادق، يؤسفنى أن أصارحک بأنّک لم تستطيعى أن تفهمى صداقتى الأدبية لک، ففسرتها على غير حقيقتها»(نفسه: ۲۳۰).

ولا تزال العلاقة بين *إلهام* و*سامى* هى الحب والقناعة بالحد الأدنى من شروط العيش الكريم، مقابل استمرار مشاكل وديون مجلة «الفكر الحر» التى جاء نجاحها على حساب المشروع الروائى لسامى الذى لا يجد وقتاً لمواصلة إنتاجه المتميّز. وهو ما يدعو *إلهام* إلى الصبر، على الرغم من إصابة *سامى*، زوجها، بالسعال والمرض فى آخر الرواية، على نزواته، فيما تتأمل أصابعه التى تحترق بنار الإبداع والإخلاص لمشروع عمرهما المشترک: الفكر الحرّ.

«وسرتُ (*إلهام*) على رؤوس أصابعى... وأطللتُ من فوق كنفه،كاتمةً أنفاسى.كان أمامه ورق كثير أبيض... إنّه يكتب. وقد خُيِّل إلَىَّ أن أصابعه التى تُمسک بالقلم،كانت تحترق إنه يكتب. وذكرت وعدى له. وعدى أن أساعده دائماً، ومهما كانت الظروف أن يكتب...»(نفسه: ۲۳۰).

ومن الملاحظ أن نعترف بأن هناک الأشخاص الحقيقيين الذين يقفون وراء شخصيات هذه الرواية. «فلم يكن وحيداً، بل هو الكاتب اللبنانى الكبير *سعيد تقى الدين* الذى قضى الأعوام الثمانية الأخيرة من عمره، داعية متحمساً فى صفوف الحزب السورى القومى الاجتماعى، الذى أطلقت عليه الرواية اسم حزب الهلال، نسبة إلى مشروع الهلال الخصيب الذى كان يتبنّاه هذا الحزب. ولم يكن كريم *هادى* بعيداً فى جوهره عن شخصية الأديب المفكّر *رئيف خورى* الذى كان عضواً فى الحزب الشيوعى اللبنانى – وقد أطلقت الرواية على الشيوعيين اسم الأرجوانيين كناية عن اللون الأحمر المرتبط بهم كعلامة وشعار- وقد ترک الشيوعيين ماحضا إياهم نقداً مرّا لكنّه التقى معهم فى نصرة الجزائر. كذلک لايصعب أن ندرک المقصود بشخصية *هانى الغريب*، فهو الشاعر *سعيد عقل* الذى يتباهى إلى حد الجنون بلبنان رافضاً أى ارتباط قومى له بالعرب. وتبقى شخصية *عصام حلوانى* الذى يكاد يصرخ على الورق بأنّه الشاعر *نزار قبّانى* من قمّة رأسه حتى أخمص قدميه. وغنى عن القول بعد ذلک أن مجلة «الفكر الحرّ» هى مجلة الآداب التى أصدرها د. *سهيل إدريس*،

وإنّه هو *سامى ميمون* حسب اسمه فى الرواية، أما *إلهام راضى* فهى رفيقة عمره *السيدة عايدة مطرجى إدريس*»(دحبور:۸۴).

صورة المدينة فى رواية «أصابعنا التى تحترق»

وبعد أن استعرضنا أهم محاور نظرية يوتوبيا لدى *جورج ولز*، وملخص رواية «أصابعنا التى تحترق»؛ فنركز تطبيقنا على المعايير التى كانت موجودة فى الرواية على ضوء نظرية يوتوبيا *لجورج ولز* كما يلى شرحها و دراستها.

تمثّل رواية «أصابعنا التى تحترق» البنية الثالثة فى المشروع الروائى للكاتب الراحل *سهيل إدريس* ورواية «أصابعنا التى تحترق» هى حكاية *سامى*(*سهيل إدريس*) الذى عاد من سفر باريس بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى الأدب العربى، وهنا فى بيروت يقصد أن يؤسس مجلة «الفكر الحرّ»(مجلة الآداب) باستعانة أصدقائه الأدباء، ويواجه صعوبات مالية، واقتصادية، وسياسية، وعدم انتشار مجلته فى سوق العراق وغيرها من المصائب الاجتماعية.

وفى هذه الفترة نسعى أن نشرح بعض صفات اليوتوبيا المنشودة التى يريد *سهيل إدريس* تحقّقها فى «أصابعنا التى تحترق». كما ذكرنا آنفا يرى *جورج ولز* أنّ المال هو صنو الحياة متى استخدم صحيحاً فى المدينة الفاضلة، ونحن نواجه فى أصابعنا التى تحترق شخصيتين متضادتين فى استخدامهما للمال فى طريقه الصحيحة وطريقه السيئة؛ وهما *وحيد حقى* و*إلهام راضى*.

أمّا *وحيد* فبعد أن اشترک فى الكتابة مع *سامى* فى مجلة «الفكر الحرّ»، انضمّ إلى حزب الهلال وأنفق كل ماله فى سبيل غير صحيح، حتى أصبح فقيراً ليس له مال وأصبح مضطراً إلى طلب المعونة من الأصدقاء القدامى. وهو قد رجَّح حزبه على صحته وسلامته: «فأجاب *وحيد*: - ليس المهم أن أكون فى صحّة جيّدة، أو فى حال طيبة، المهم أن يكون الحزب بخير وأردف *وحيد* قائلاً: - والحزب الآن يعانى أزمة مالية لابدّ من التغلّب عليها... فاستطرد يقول: وقد تُعجب يا *سامى* إذا أخبرتک انّنى أنفقت كل مالى من أجل الحزب. وتحرّک الرّجل فى مقعده وقال وهو يضحک: «من أجل هذا أصبحت إلى طلب المعونة من الأصدقاء القدامى»(ادريس:۲۱۹).

والحقيقة أن *سامی* يرى أن عمل *وحيد* ليس معقولاً وصحيحاً فی أن ينفق ماله كلّه من أجل الحزب والوصول إلى الرياسة ثم يستعطی، وفی الواقع يرى *وحيد* أن أدبه ذو قيمة إلّا إذاكان فی خدمة حزبه. «فقال *وحيد* بلهجة هادئة رصينة: - أصبحت الآن أعتقد يا عزيزی بأن أدبی لن يكون ذا قيمة إذا لم يكن فی خدمة حزبی. ثم نظر *سامی* إلیَّ [*إلهام*] شارد البصر، وقال: - أهذا معقول؟ أن ينفق ماله كلّه من أجل الحزب ثم... يستعطی؟»(نفسه:۲۲۱).

ولم يكن *وحيد*، وحيداً بل هو «الكاتب اللبنانی الكبير *سعيد تقیّ الدين*، الذی قضی الأعوام الثمانية الأخيرة من عمره داعيةً متحمّساً فی صفوف الحزب السوری القومی الاجتماعی، الذی أطلقت عليه الرواية اسم "حزب الهلال"»(دحبور:۸۱).

و*سامی* الذی هو *سهيل إدريس* نفسه الذی استتر خلف قناع الشخصية، فی كل الرواية يرفض دعوة *وحيد* للانضمام إلى حزبه ويری أن *وحيد* (*سعيد تقی الدين*) مع انضمامه إلى حزب الهلال وصرف أدبه فی خدمة حزبه، فقد حريّته بصفته اديباً مثقفاً حراً. وهذا ما نفهمه من الحوار الذی أجراه يسری *الأمير* مع *سهيل إدريس* فی هذا الموضوع، إذ يقول *إدريس*: «كنتُ ومازال أعتقد أن انتساب المثقّف الحرّ إلی حزبٍ ما يقيّد حريّته فی الاختيار، ويُلزمه بسلوكٍ لايتمتّع دائماً بالحرية التی هو المطلب الأول للمثقّف. وفی تلك الفترةكان *سعيد تقیالدين* [*وحيد* فی الرواية]من أعزّ أصدقائی؛ وكنت شديد الإعجاب بإبداعه الفنی، ولكنّ نزعته إلى التحزّب، وربّما طمَعَه فی ترؤس الحزب السوری القومی الاجتماعی، وتبرّعه المستمرّ لهذا الحزب،كل ذلك قد باعد بينی وبينه، فقد سخّر كلّ موهبته لخدمة حزبه، وحُرم بالتالی من ذلك البعد الأساسی فی حياة الأديب: بُعد الحرية»(يسری:۷). لذلك نفهم أن الحرية فی المدينة الفاضلة الإدريسية هی المطلب الأول للمثقف الأديب وتجلياتها تظهر فی رواية «أصابعنا التی تحترق» ملموسةً وبارزةً.

أما الشخصية الثانية فهی *إلهام راضی* زوجة *سامی* وهی «رفيقة عمر *سهيل إدريس*، *السيدة عايدة مطرجی إدريس*». وهی شخصية أديبة تفهم مشاكل *سامی*(*سهيل إدريس*) فی بداية تأسيس مجلة «الفكر الحر»(مجلة الآداب) وبداية الزواج.

وحاولت *إلهام* أن تقنع *سامی* على أنها تتولّی التدريس فی إحدی المدارس الابتدائية، وتحصل على بعض المال لتصرفها فی طريقه الصحيح كما يذهب إليه *جورج ولز* فهی

تقول: «ألم أحاول أن أقنع *سامى* بأن يوافق على أن أتولّى التدريس نهاراً فى إحدى المدارس الابتدائية، فأحصل على بعض المال الذى يساعدنا على تحقيق أمنيتنا على أن أتابع دراستى مساءً فى الأكاديمية؟ أما كان ذلك بدافع من الشعور بواجب المشاركة وتخفيف بعض العبء عن كاهله؟»(ادريس:١٥٣).

هذه العبارات تدلّ على موقف المرأة فى مشاركتها لبناء مستقبل زوجها، لذلك تريد أن تشترك فى الحصول على المال مع زوجها ومساعدتها له لتأسيس بيت صغير تدريجياً، وشراء حصتى شريكيهما(*سمير وضياء*) فى المجلة. وصرف المال فى طريقة العلم لذلك تحاول إلهام أن تطرد عن زوجها اليأس والتردد. فتقول: «وحين أبلغتنى، بعد يومين واليأس فى صوتك ونظراتك أن شريكيك يطلبان ثمناً باهظاً لحصتيهما فى المجلة، ثمناً يعادل أربعة أضعاف ما شاركا به من رأس المال... ألم أخبرك يومذاك انى أقنعت أهلى بأن يقدموا لنا نقداً ثمن غرفة الاستقبال التى كانوا ينوون شراءها لنا؟»(نفسه:١٨٤).

وفى مكان آخر نرى أن *إلهام* تنفق مبلغا صغيرا من المال، الذى كانت تحتفظ به لشراء ثوب صيفى لأن *سامى* لم يكن له مال ليساعد صديقه القديم *وحيد حقى* فحين رأت *إلهام*، عجز زوجها عن تقديم مبلغ لصديقه *وحيد* حاولت أن تجنب عن الإسراف فى ملبوسها وأنفقت مالها لمساعدة شريكها الزوجى: «انسحبتُ [*إلهام راضى*] مسرعة من المكتب، ثم أومأت إلى *سامى* من خلف الباب بحيث لا يرانى صديقه، وأعلمته أنى سآتيه بمبلغ صغير من المال كنت محتفظة به لشراء ثوب صيفى. فلم يقل *سامى* شيئاً، وحين جئته بالمبلغ نظر إلىَّ نظرة عرفان وعاد إلى المكتب...»(ادريس: ٢٢٠).

وهكذا نرى فى رؤيتها إلى الحياة الزوجية،كانت تجتنب عن الإسراف فى ملبوساتها، وهى فى الواقع تخالف تقاليد شرقية خاطئة فى إنفاق الأموال الكثيرة، وإسرافها فى بداية الزواج لشؤون غيرصحيحة عوض أن ينفق الزوجان أموالهما فى بداية الحياة الزوجية لبناء مستقبلهما لا للوقوع فى ورطة التجمّلات. وهذه الرؤية تطابق رؤية *ولز* الإشتراكية فى بناء المدينة الفاضلة «يجب أن تحذر المدينة الفاضلة المثالية من الإسراف فى كل ما هو ملبوس أو مأكول أو مشروب»(برنيرى:٣٦٦). فتجيب *إلهام* طلب *سامى* لتقديم الخاتم لها قائلة: «- ولكن هل طلبتُ منك خاتماً يا *سامى*؟ هل حدثتك يوماً بهذا؟ قال *سامى* بصوت منتعش بالأمل: - أنت إذن لاتطلبين منّى خاتماً؟ أمن الممكن أن يحدث هذا فى

بلدنا؟ فقلتُ [*إلهام*]: - أنا لستُ عبيدة تقاليد يا *سامى*. ماذا يفيدنى الخاتم؟ أىُ نفعٍ أجنيه من وضع خاتم فى إصبعى يبلغ ثمنه ألوف الليرات؟ أليس الأفضل أن نستعين بهذا الثمن، حين يتوفّر لک، لتحقيق بعض مشاريعک؟»(نفسه:۱۷۷).

أما بعد أن درسنا مواضيع المال والتحذير من الإسراف وعمل المرأة فى هذه الرواية وهى مكان تجلّى سمات اليوتوبيا الإدريسية، سنحاول أن ندرس سمات أخرى لهذه اليوتوبيا من أمثال الحرية، وتكريم المرأة والعمل، فيما بعد. ومن سمات حرية *سامى* بطل الرواية أنه يرفض الانحياز إلى اليمين، واليسار، والحزب الشيوعى، وحزب الهلال، لأنَّه يرى أن «أى التزام حزبى مهدّد لحريَّته، حرية فكره، وحرية أدبه وهو يصرّ على أن يحتفظ بحريّته الكاملة»، فهو «لاينضمّ إلى أى حزب حتّى ولو كان يؤيّده، وهذا الموقف شديد الشبه بالموقف الوجودى على نحو ما عبرت عنه *سيمون دى بوفوار* فى روايتها «المثقفون»»(الشارونى:۲۲۱).

وفى كل الرواية نرى أن *سامى* جعلها مجالا للحديث عن شخصية البطل الثورى وطالب جرية الفكر، والتعبير، والكشف عن اتجاهاته الفكرية، وموقفه السياسى، وعواطفه واتجاهاته القومية.

لذلک يؤسس *سامى* مجلة «الفكر الحر»(وهى مجلة الآداب)، وينفق ماله كله ويضَحَّى بحياته لها طالباً حرية مطلقة فى طريق حياته التى كانت قبل سفره إلى باريس وطوال إقامته فى باريس وبعدها، فى تحمّل كل المصاعب والمضايقات للتحرّر من أىّ لون من ألوان العبودية، فيحدّث نفسه ويقول: «فقد كنتُ دائم الإيمان بأن أكبر نعمة مُنحها الإنسان هى نعمة الحريّة، وأن كلّ نضال قام به الإنسان عبر القرون إنما كان هدفه الأسمى الحريّة، والتحرّر من لون ما من ألوان العبوديَّة. من أجل هذا، فكرتَ وأنت بعد فى باريس، بأن تنشئ مجلة «الفكر الحر» لتكون الرسالة تعبير عن إيمانک، ولتجعلها وسيلةً من وسائل تحرير الإنسان فى هذه المنطقة من العالم»(ادريس:۱۰۳).

واعتماداً على أن *سهيل إدريس* يرى "حرية" مطلقة للأديب المثقف، ويرى أن الأديب يجب أن يخرج من موقفه المتحفظ لذلک يقول إننا « من الذين يعتقدون أن الأديب مُعارضٌ أبدىٌ للسلطة، وينبغى أن يتحمّل هذه المسؤولية، ومن دونها لن يكون هناک تقدّم ولا تطوّر للمجتمع» ولهذاكانت مجلته «الفكر الحر»(وهى نفس مجلة الآداب) تمنع

فى السوق الرئيسة الأولى لرواجها، وهو العراق، لأن *سامى* ينشر فيها ضدّ حكامها مقالات ومنشورات تهدّد انتشار المجلّة وتواجه الاحتجاب، لذلك يصرخ صراخ الحرية فى روايته، و«يحسّ بأنّ حريّته كلّها مهدّدة تهديداً مميتاً، حريّته فى أن يتنفّس، ويعيش، ويواصل بناء هذه المؤسسة التى بذل الكثير ليراها تبزغ إلى النور. ويحقد حقدا أسود على أولئک الحكام الذين يمنعون الأقلام أن تعيش حريّتها، حفاظاً منهما على كراسيهما مهدّدة بعبودية الخوف من الانهيار».

أما بالنسبة لتكريم المرأة فى اليوتوبيا الإدريسية المتجلية فى رواية «أصابعنا التى تحترق» نرى أنّه يحترم النساء من أمثال *إلهام راضى*، و*رفيقة شاكر*، و*سميحة صادق*، ف*سامى* يكرّم *إلهام راضى* ويحترمها قبل زواجه منها فى دعوتها إلى قراءة روايات من الفرنسية للترجمة وصرف وقت لها، ومنذ بداية الرواية كان *سامى* يشاركها فى البحث الأدبى ونقد ترجماته ويسمع ويصدر رأيه فى مجلّته «الفكر الحرّ».

وعندما «أراد المؤلف فى «أصابعنا التى تحترق» أن يصوّر *إلهام راضى* زوجة البطل، حاول أن يرسم لها نموذجا مثالياً لزوجته تجمع بين تفتح المرأة، وتمسكها بالأخلاق الشرقية»، ف*سامى* يعطيها قصة جميلة ويريد منها ترجمتها ليدرس معها الرواية وعناصرها:«قال *سامى* وهو يدفع لها مجلة فرنسية شهرية:- إنّ فيها قصة جميلة حاولى أن تترجمى منها بضع صفحات نتدارسها معاً فى لقائنا القادم... وحدثته (*إلهام*) عن رأيها فى الرواية التى سبق أن أهدى إليها نسخة منها. وقالت إن سلوک البطل لا أخلاقى حاولت الرواية أن تبرّره وتعطّف عليه القارئ...»(ادريس: ١٠٧).

ف*سامى* بعد زواجه منها، يعطيها سكرتيرية التحرير لمجلته: «ثمّ اقترح علىّ *سامى* أن أساعده فى الفكر الحرّ بتولى سكرتيرية التحرير، تمهيداً للاستقلال بالمجلة بعد فترة من الزمن. ولقد أثلج اقتراحه صدرى وملأنى اعتزازاً بأن أحسّنى مشاركة لرفيق حياتى المقبل فى العمل الرئيسى الذى يقوم به.» و*سامى*(*سهيل إدريس*) فى كل الرواية يحاول أن يحترم المرأة ويسعى لتعليم المرأة وتشجيعها للحصول على شهادة الليسانس والدكتوراه: «واتّفقنا على أن أواصل [*إلهام*] دراستى بعد الزواج حتّى أحصل على الليسانس. وقال لى *سامى* إنّه يشجّعنى على إعداد رسالة للدكتوراه بعد ذلک...»، أما بالنسبة للعمل نرى أن

سهيل إدريس يرسم لنا بطل الرواية فى هذه الروايـةكنموذج مثـالى يعمـل عمـلاً كادحـاً للوصول إلى أغراضه وغاياته فى الحياة.

فهو حينما يواجهه العجز المالى فى نشر مجلته يزيد فى جهـده ويسـعى فـى الكتابـة أكثر من ماضيه ويقلّل ساعات قيلولته وراحته طالبـاً حـلّ مشـكله: «قـال *سـامى* [بعـدما أصيب بعجز مالى فى مجلته بسبب منعها من سوق العراق] فى لهجة قوية:- نزيـد الجهـد لزيادة الإعلان فى المجلة. إنّه حتى الآن مورد ضعيف جداً، أليس كذلک يا سـمير... وقـال *سامى*: وأنا بدورى سأضحّى... إنّنى سأمتنع عن أخذ أى مبلغ شهرى لنصيبى... وحين بلغ *سامى* منزله، فتناول طعاماً سريعاً، وهو يُحسّ ذلک الغليان النفسى الذى افتقده طويلاً فى الفترة الأخيرة، ذلک الاحتشاد العاطفى والذهنى الذى يدعوه إلى الكتابة ويُلـحّ عليـه فـى اعتصار الفكر والروح والقلب على شبا قلمه الراعش. ولم يجد حاجةً إلى القيلولة، بل جلس وهو يُحسّ بأن تلک الأقصوصة التى كان قد بدأها منذ أيام تكتمل خطوطاً... تلـک كانـت أروع لحظات الحياة عنده: أن يشعر بأصابعه تحترق»(ادريس:۱۰۴).

النتيجة

لقد وقف *سهيل إدريس* وراء شخصية بطل الرواية أى *سامى* ورفـض فسـاد المجتمـع، وعدم مسؤولية الشخص فيه وبحث عن المجتمع الطوباوى والمثالى اللبنانى الذى يتخلّص من الفاسدين، والسكارى، والمسرفين فى كل ما هو ملبوس أو مـأكول أو مشـروب، ولقـد أشارت صورة المدينة الفاضلة فى روايته «أصابعنا التى تحترق» ضجيجاً لصـراحة تعبيرهـا عن المجتمع الجديد المتنامى الطوباوى فى ذهن الأديب والآخرين ومـا فيهـا مـن إدانـة لمصادر الإحباط والفساد فى المجتمع والريف.

وسعى *سـهيل إدريـس* فـى أن يخلـق مدينـة فاضـلة وفـق وجهـة نظـره الإشـتراكية والبورجوازية. إذ يرى أن الحب، والتسامح، والأمن، والقانون، واستخدام المال فـى الطريقـة الصحيحة، وتكريم المرأة، والتحذير من الإسراف فـى كـل الشـؤون يجـب أن يـود الـبلاد العربية أولا يختلف المجتمع فى داخله، ولاسيما أعضاء الأسرة التقليدية الدينيـة اللبنانيـة على الرغم من صراع الأجيال فيها ويجب أن تتسامحوا الأجيال المختلفة فى هذه الأسـرة الشرقية لكى تقترب من المدينة الطوباوية المنشودة.

تمثّل هذه الرواية البنية الثالثة فى المشروع الروائى الإدريسى التى تجسّد لنا بعض صفات اليوتوبيا المنشودة، فنستنتج من الرواية أن الشخصية التى تستخدم المال فى طريقه الصحيح، مثل *إلهام راضى*، زوجة *سامى* التى حاولت أن تقنع زوجها على أنها تتولّى التدريس فى إحدى المدارس الإبتدائية، للحصول على بعض المال وتصرفه فى طريقه الصحيح لبناء شخصية موفقة ومفيدة للمجتمع المثالى. ولكن الشخصية التى تستخدم المال فى طريق غيرصحيح، مثل *وحيد*، وينفق كل ماله فى سبيل حزبه حتى يعانى فى النهاية من أزمة مالية، شخصية غير موفقة، وخاسرة ويجب عليه أن يعدل فى حياته ويصحّح سلوک فيها.

أما تكريم النساء فمن ميزات المدينة الفاضلة الإدريسية التى يبرزها فى ضوء نظرية يوتوبيا *لجورج ولز* الإشتراكية فى رواية «أصابعنا التى تحترق» ومن خلال قراءة الرواية وتصرّف البطل الإدريسى مع النساء، نفهم أنه يحترم النساء من أمثال *إلهام راضى*، و*رفيقة شاكر*، و*سميحة صادق*، ويعتبر إحترام النساء ومشاركتهن فى الحياة الإجتماعية وسيلة للوصول إلى اليوتوبيا المنشودة. لذلک نرى أن سامى يكرّم *إلهام راضى* قبل زواجه منها ويعطيها قبل زواجه روايات للترجمة ومنذ البداية يشاركها فى المناقشات الأدبية ونقد ترجماته.

وبما أن المال هو صنو الحياة متى ما استيحضأ صحيحا فى المدينة الفاضلة، ونحن نواجه فى هذه الرواية أن الأديب اللبنانى يطرح مشكلة العجز المالى فى المجتمع الشرقى للأدباء والمثقفين ويحاول أن يشرح طريقة صحيحة لإستخدام المال فى حياته الزوجية، وأيضا فى حياة الأدباء. وهو يشير إلى قصة صديقه، *وحيد*، وقصده الخطأ فى إنفاق كل ماله فى سبيل حزبه(حزب الهلال)، حتى أصبح مضطراً، وسائلا يطلب المال من *سامى* بطل الرواية. وفى هذه الرواية نرى بيان ميزة أخرى لليوتوبيا الإدريسية وهى العمل. وهو يرسم لنا الإديب الذى هو صاحب مجلة الفكر الحر،كنموذج مثالى يعمل عملا كادحا للوصول إلى أغراضه، وأهدافه فى حياته الأدبية وإن أصيب بعجز مالى واضطرّ إلى أن يعمل فى معهد تعليم اللغة العربية للفرنسيين المستعمرين.

۶. إن ميزات نظرية اليوتوبيا الولزية،كثيرا ما تنطبق على رؤية *سهيل إدريس* الإشتراكية وهذه تدل على أنّ الرجلين ينتميان إلى طبقة إجتماعية وسياسية مشتركة

لذلک تعکس أعمال سهیل إدریس الأدبیة بوصفها بنیة إبداعیة، رؤیة مشترکة مع جورج *ولز* ناتجة عن أفکارهما المتشابهة ویتبلور هذا التوازن والإشتراک عن طریق القیاس وتطبیق نظریة ولز علی الأثر الأدبی حتی یستطیع المتلقی الوصول إلی رؤیة الأدیب اللبنانی بصورة بارزة فی أعماله مع تطبیق نظریة الیوتوبیا الولزیة علی روایته «أصابعنا التی تحترق» وفی النهایة تبدو میزات المدینة والدولة المنشودة له.

المصادر والمراجع

أبوغالى، مختار. ۱۹۹۵. **المدينة فى الشعر العربى المعاصر**. الطبعة الأولى. الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب.

إدريس، سهيل. ۱۹۹۸. **أصابعنا التى تحترق**. ط۸. بيروت: دارالآداب.

برنيرى، ماريا لويزا. ۱۹۹۷. **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**. ترجمة عطيات أبو السعود. الطبعة الثانية. الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب.

بوردون، ر، وبورّيكو، ف. ۱۹۸۶.**المعجم النقدى لعلم الإجتماع**. ترجمة سليم حدّاد. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

الجابرى، محمد عابد. ۲۰۰۱. **العقل الأخلاقى العربى: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم فى الثقافة العربية**. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

درّاج، فيصل. ۲۰۰۴. **الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية**. المغرب: الدار البيضاء.

السعافين، ابراهيم. ۱۹۸۷. **تطوّر الرواية العربية الحديثة فى بلاد شام (۱۸۷۰-۱۹۶۷)**. الطبعة الثانية. بيروت: دار المناهل.

الشارونى، يوسف. ۱۹۶۴. **دراسات فى الأدب العربى المعاصر**. القاهرة: المؤسسة المصرية.

الشملى، سهيل. ۱۹۹۸. **البطل فى ثلاثية سهيل إدريس**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الآداب.

الانصارى، عبدالله عبدالوهاب محمد. ۲۰۰۸. **الإيديولوجيا واليوتوبيا فى الأنساق المعرفية المعاصرة دراسة بين كارل مانهايم وتوماس مور**. القاهرة: جامعة الإسكندرية.

محمود، زكى نجيب. ۱۹۹۸. **أرض الأحلام**. الطبعة الأولى. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

مور، توماس. ۱۹۸۷. **يوتوبيا**. ترجمة وتقديم انجيل بطرس سمعان. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

المقالات

دحبور، أحمد. ۲۰۰۸. «**دمعة الثلاثاء: أصابعنا التى تحترق فى وداع المعلم اللبنانى د.سهيل إدريس**». مجلة الآداب. العدد۴. صص ۸۹-۸۳.

زوكار، الشاذلى. ۲۰۰۸. «**عن الشعر، والكتاب، والحب، وشراء الأقلام حوار لم ينشر مع د.سهيل إدريس**». مجلة الآداب. العدد۷. صص ۹۹-۹۶.

مجيدى، حسن وآسية فولادى. شتاء۱۳۹۱. «**التحليل السيميائى لـ«الناس فى بلادى» لصلاح عبدالصبور**». دراسات الأدب المعاصر. جامة آزاد الإسلامية فى جيرفت. العدد۱۶. صص ۲۷-۴۱.